مقتطفات من موجز تقرير التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٣
نحو إقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية
وآراء نخبة من العلماء والمفكرين

يعرضها
فؤاد أحمد إسماعيل
خبير المكتبات والمعلومات

المقدمة

اكتسب مفهوم التنمية الإنسانية اهتماماً كبيراً منذ تبنى الأمم المتحدة له بإصدار تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٠ ويقوم المفهوم على أن البشر هم الثروة الحقيقية للأمم ، وأن التنمية الإنسانية هى توسيع خيارات البشر ، وهذا يعنى مركزية الحرية فى التنمية الإنسانية . وقد ترتب على نشر تقارير التنمية الإنسانية العالمية إصدار أكثر من ٢٦٠ تقريراً وطنياً للتنمية الإنسانية فى أكثر من ١٢٠ بلداً .

وفى هذا الإطار صدر التقرير الأول للتنمية الإنسانية العربية عام ٢٠٠٢ ، وكان لإصداره أثر كبير فى المحافل التنموية والسياسية والإعلامية ، حيث تعرض التقرير بجرأة وصراحة لمجموعة مهمة وجديدة من الأفكار حول التحديات الحقيقية التى تعوق التنمية والتقدم فى الوطن العربى ، ومنها الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين وأرض عربية أخرى ، وقصور الحريات وضعفها والنزاعات والاضطرابات السياسية ونقص المعرفة وعدم مشاركة المرأة بفعالية واقتدار ، والفساد الإدارى والمالى المستشرى .

يعرض تقرير التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٣ رؤية إستراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة فى البلدان العربية قائمة على حريات الرأى والتعبير والتنظيم وضمانها بالحكم الصالح ، ونشر التعليم وتطويره وتوطين العلم وبناء قدرات البحث العلمى ، والتحول نحو نمط إنتاج المعرفة وتأسيس نموذج معرفى عربى أصيل . صدر هذا التقرير فى شهر أكتوبر الماضى عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائى وتم نشره إلكترونياً على الموقع التالى :

http://www.undp.org/rbas/ahdr/arabic2003html.

يقع التقرير فى ٢٠٢ صفحة تتضمن مقدمة وموجز وقائمة للمراجع وجداول إحصائية وتسعة فصول وهى : مفهوم المعرفة والتنمية الإنسانية ومجتمع المعرفة فى البلدان العربية ، نشر المعرفة ، إنتاج المعرفة ، قياس المعرفة ، السياق التنظيمى لاكتساب المعرفة ، الثقافة ، البنية الاجتماعية

والاقتصادية ، السياق السياسى ، رؤية استراتيجية لأركان مجتمع المعرفة .

أعد هذا التقرير مجموعة من خيار المفكرين والمثقفين معظمهم من العالم العربى ، وقد عملوا من خلال ثمان فرق عمل استشارية ومركزية ومحررين ومؤلفين مشاركين وخبراء برنامج الأمم المتحدة الإنمائى وفرق قراءة النسختين العربية والإنجليزية وفريق الترجمة .

تطمح سلسلة «تقرير التنمية الإنسانية العربية» إلى حفز رؤية استراتيجية تبلورها النخب العربية ، عبر عملية إبداع مجتمعى وطنية ، تتوخى إعادة تشكيل المنطقة من الداخل ، المتأسس على نقد رصين للذات ، هو البديل الصحيح لمواجهة هذه المخاطر .

يرجع الاهتمام بتقديم هذا العرض إلى عاملين: أحدهما عام ويتعلق بحيوية القضايا التى يتعرض لها التقرير وأهميتها ، وما يتبعه من ضرورة تعميم الاطلاع عليها من قبل المفكرين والمثقفين والمتخصصين لتقييم فقرات هذه القضايا وإبداء مرئياتهم بشأنها ، خصوصاً فيما يتعلق بمدى دقة هذه البيانات وموضوعيتها ، ومدى علاقتها بالواقع الذى نعيشه . وأما العامل الثانى فهو خاص ويتعلق بدور اختصاصيى المكتبات والمعلومات وخبراته فى التعريف بالإنتاج الفكرى وتيسير إتاحته للمستفيدين، خصوصاً إذا كان هذا الإنتاج يتعلق بقضايا المعلومات أو المعرفة .

يقدم هذا العرض بعض الفقرات المهمة المنقولة عن موجز التقرير الذى يقع فى ثلاث عشرة صفحة، علاوة على تعريف لبعض المفاهيم المهمة المنقولة من الفصل المعنون : «نحو إقامة مجتمع المعرفة» ، كما يتضمن عرضاً موجزاً لآراء نخبة من العلماء والمفكرين والتى نشرت بصحيفة الأهرام باعتبارها من أعرق الصحف العربية وأكثرها انتشاراً ، بالإضافة إلى موقعها المتميز على شبكة الإنترنت ، كما أن للصحيفة أقدم الكشّافات على المستوى العربى فى أشكاله الورقية والإلكترونية .

نحو إقامة مجتمع المعرفة

تضمن الفصل المعنون «نحو إقامة مجتمع المعرفة» تعاريف لبعض المفاهيم المهمة التى وردت فى التقرير نستخلص منها الفقرات التالية :

- أن التراث الفكرى مكون أساسى من مكونات الثقافة ، وأن اللغة الحامل الأدائى لها ، وأن الدين هو المنظومة الاعتقادية الرئيسة الشاملة التى توجه حياة هذه الثقافة . أما القيم (الأخلاقية والاجتماعية والسياسية) فهى التى تحكم الفعل وتوجهه فى منظومة الثقافة العربية.
- المعرفة هى حجر الزاوية فى التنمية الإنسانية .
- لا تنشأ المعرفة فى فراغ مجتمعى ، ولكن فى مجتمع معين له واقع وتاريخ وسياق إقليمى وعالمى .
- أن قضية التراث الفكرى العربى فى العصر الحديث لم تكن فى كل وجوهها قضية نظرية خالصة أو قضية علمية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وإنما كانت إلى حد بعيد قضية إيديولوجية . ولا يعود ذلك لارتباطها بالدين أو بالمقدّس وبالماضى العربى فحسب ،

وإنما لارتباطها أيضاً بدواع وأسباب عملية مستجدة تتطلب فعلاً غالباً ، ومطالب سياسية أو قومية ، ومقاصد مصلحية لا شأن لها بالنظر العلمى الخالص ، ومعنى ذلك أن التراث الفكرى العربى يطرح اليوم مشكلات معرفية أساسية ، وذلك لاتصاله بالمعرفة ومناقضته لها فى آن واحد . فهو متصل بالمعرفة لأنه متصل باللغة وبالدين وبالعلوم وبالثقافة ، وهو مناقض لها لأن النظر فيه لا يجرى فى أغلب الأحيان وفق مطالب العلم وإنما تكتنفه العاطفة والهوى والرغبة والأمانى والتمجيد وإغفال الواقع العيانى والحقائق المشخصة التى لا تبعث على رضا النفس ، أى أن الهوى الأيديولوجى يتلبس جملة أشكال النظر فيه .

- «العقل العربى» نفسه لم يكن خالصاً فى تشكله وتطوره التاريخى لما هو «عربى» خالص، وإنما خضع لتفاعلات عقلية ونفسية واجتماعية إنسانية كونية ، فجاءت منتجاته متنوعة ثرية متطورة ، وجاءت منهجياته متعددة متباينة ، وكانت العوامل التاريخية والايديولوجية حاسمة فى توجيه هذه المنهجيات فى طرق متباينة . إذ كانت حيناً نقلية إتباعية ، وحيناً عقلية ابتداعية ، وحيناً قياسية فقهية صورية ، وحيناً بيانية بلاغية ، وحيناً علمية تجريبية ، وحيناً حدسية صوفية أو غيبية سحرية . نتج عن العقل العربى علوم اللغة العربية وعلم الكلام – الدينى والطبيعى – وجملة العلوم الفلسفية التى أطلق عليها اسم (العلوم العقلية) ، وهى علوم تشتمل على علوم المنطق والفلسفة وعلى العلوم الطبيعية والطبية والهندسية والرياضية المنحدرة إلى العرب عن (الأوائل) أى الإغريق على وجه الخصوص . وبكل تأكيد ، لم تكن العلوم العقلية العربية علوماً راسخة فى الثقافة العربية القديمة ، إذ لم يكن للعرب منها إلا النزر القليل ، وإنما كانت علوماً أسماها العرب أنفسهم العلوم «الدخيلة» فكانت بذلك وجهاً زمنياً من وجوه هه الثقافة التى انقضى الغالب الأعم منها بانقضاء زمنه وبتجدد المعرفة وتقدمها ، ولكن قيمتها «التاريخية» فى التقدم الحضارى العام للإنسانية لا يمكن أن يرقى إليها أى شك .
- نتبين فى النصوص الدينية الإسلامية حالة من التوازن المنشود بين الدين وبين الدنيا ، أو بين عالم الحياة الدنيوية وبين الآخرة . إن الإسلام «دين ودنيا» بمعنى أنه يصعب فصل السياسة عن باقى المعاملات بين البشر .
- إن تحالف بعض أنظمة الحكم القهرية مع فئة من علماء الدين الإسلامى ، قد أفضى إلى تأويلات للإسلام ، خادمة للحكم ولكن مناوئة للتنمية الإنسانية ، خاصة فيما يتصل بحرية الفكر والاجتهاد ومساءلة الناس للحكم ومشاركة النساء في الحياة العامة .
- اللغة هى المنظار الذى من خلاله يدرك الإنسان عالمه ، وهى العامل الحاسم الذى يشكل هوية هذا الإنسان ويضفى على المجتمع طابعه الخاص ، وهى محورية فى منظومة الثقافة لإرتباطها بجملة مكوناتها من فكر وإبداع وتربية وإعلام وتراث وقيم ومعتقدات .

- تواجه اللغة العربية اليوم على أبواب مجتمع المعرفة والمستقبل تحديات قاسية وأزمة حقيقية، لذلك يتعين استغلال الفرص العديدة التى يتيحها مجتمع المعرفة لمواجهة التحديات الراهنة وتفجير الطاقات الكامنة فى اللغة العربية مثل : مشكلات الفصحى وأسلوب تعليمها بالترديد والحفظ دون الابداع وتعميق القدرة على الحوار الفعال . وعلى البحث اللغوى العربى أن يخص بالهتمام المتعاظم مطالب إنتاج الوثيقة الإلكترونية العربية وإكسابها جدارة السريان عبر شبكة الإنترنت .

- إن مجتمع المعرفة هو ذلك المجتمع الذى يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة فى جميع مجالات النشاط المجتمعى : الاقتصاد والمجتمع المدنى والسياسة والحياة الخاصة ، ووصولاً للإرتقاء بالحالة الإنسانية باطراد ، أى إقامة التنمية الإنسانية . وفى العصر الراهن من تطور البشرية يمكن القول أن المعرفة هى سبيل بلوغ الغايات الإنسانية الأخلاقية الأعلى : الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية . وقد أصبحت المعرفة بصورة متزايدة محركاً قوياً للتحولات الاقتصادية والاجتماعية. وثمة رابطة قوية بين اكتساب المعرفة والقدرة الإنتاجية للمجتمع ، وتتضح هذه الصلة بأجلى صورها فى الأنشطة الإنتاجية ذات القيمة المضافة العالية التى تقوم على الكثافة المعرفية وتحدد تنافسية الدولة على الصعيد العالمى . ولتبيان حال المعرفة فى البلدان العربية يمعن التقرير النظر فى سمات المكونين الرئيسيين لمنظومة اكتساب المعرفة وهما نشر المعرفة وهما نشر المعرفة وإنتاجها فى البلدان العربية .

موجز التقرير

تضمن موجز التقرير إيجازاً لبعض مظاهر التخلف المعرفى وأسبابه التى توضحها الفقرات التالية :

- **البعثات الدراسية** : كان من أول الآثار التى ترتبت على الإجراءات التى اتخذت بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الانخفاض الكبير فى أعداد الطلبة الذين يدرسون فى الولايات المتحدة حيث تشير الأرقام المتوافرة لعدد من البعثات العربية إلى أن متوسط نسبة الانخفاض فى أعداد الطلبة العرب فى أمريكا بلغ ٣٠ ٪ بين عامى ١٩٩٩ و ٢٠٠٢ .

- **الحد من الحريات** : لعل من أوخم العواقب لإجراءات التضييق على الحريات فى الدول المتقدمة بعد أحداث سبتمبر أن السلطة فى بعض البلدان العربية وجدت مبرراً آخر لسن قوانين جديدة حذت من الحريات المدنية والسياسية ، وفتح الباب للسماح بالرقابة ، وتقييد الوصول إلي الإنترنت ، وتقييد الطباعة والنشر ، إضافة لكونه لا يحرّم صراحة الاحتجاز غير المبرر أو التعذيب .

- **الاحتلال الإسرائيلى** : أعادت إسرائيل احتلال الأراضى الفلسطينية مخلفة وراءها أهوالاً من الخراب المادى والضحايا البشرية والمؤسسية ، مرتكبة ما وصف بجرائم حرب فى رأى منظمات حقوقية غربية ، ومنذ سبتمبر عام

٢٠٠٠ وحتى شهر ابريل ٢٠٠٣ ، قتلت قوات الاحتلال الإسرائيلية ٢٤٠٥ مواطنين فلسطينين ، جرحت ٤١٠٠٠ مواطن آخر . ومعظم من قتل (٨٥ ٪) من المدنيين ، ونسبة (٢٠ ٪) من الأطفال . وتقدر منظمة اليونيسيف أن ٧٠٠٠ من الأطفال قد جرحوا، وابتلى ٢٥٠٠ شخص بعاهات دائمة منهم ٥٠٠ طفل .

- **غزو العراق** : تحالف قادة الولايات المتحدة وبريطانيا مع بعض من الشركاء بغزو العراق واحتلاله ، مما وضع شعب العراق والمنطقة أمام تحد من نوع جديد . وفى مواجهة مخاطر إعادة تشكيل المنطقة العربية من الخارج .

- **نهوض المرأة** : تحقق تقدم فى مضمار نهوض المرأة وفى بعض مناحى المشاركة الشعبية ، فزاد تمثيل المرأة فى بعض البرلمانات وفى مناصب مسؤولة فى السلطة التنفيذية ، وشهد عدد من البلدان العربية انتخابات برلمانية ، بعضها للمرة الأولى ، وبدت إلى حين ملامح لبداية الوعى بضرورة الإصلاح ، ولكن قلل من هذه الإنجازات إخفاقات أخرى وبخاصة فى مجال حرية الرأى والتعبير .

- **نشر المعرفة** : تعترى عمليات نشر المعرفة فى البلدان العربية فى مختلف مجالاتها (التنشئة والتعليم والإعلام والترجمة) صعوبات عديدة من أهمها شح الإمكانات المتاحة للأفراد والأسر والمؤسسات ، والتضييق على أنشطتها ، وكان من نتائج ذلك قصور فعالية هذه المجالات عن تهيئة المناخ المعرفى والمجتمعى اللازمين لإنتاج المعرفة .

- **التنشئة** : تشير الدراسات إلي أن أكثر أساليب التنشئة انتشاراً فى الأسرة العربية هى أساليب التسلط والتذبذب والحماية الزائدة مما يؤثر بصورة سلبية على نمو الاستقلال والثقة بالنفس والكفاءة الاجتماعية ، ويؤدى هذا الأسلوب إلى زيادة السلبية وضعف مهارات اتخاذ القرار لا فى السلوك فحسب ، وإنما فى طريقة التفكير ، حيث يعوّد الطفل من الصغر على كبح التساؤل والاكتشاف والمبادرة .

- **التعليم** : أما عن التعليم فبالرغم من الإنجازات التى تحققت فى مجال التوسع الكمى فى التعليم فى البلدان العربية منذ منتصف القرن العشرين إلاّ أن الوضع العام للتعليم لا زال متواضعاً مقارنة بإنجازات دول أخرى حتى فى بلدان العالم النامى . فما زال التوسع الكمى فى التعليم منوقصاً بسبب ارتفاع معدلات الأمية خاصة فى بعض البلدان العربية الأقل تطوراً وبين الإناث ، واستمرار حرمان بعض الأطفال من حقهم فى التعليم الأساسى ، وتدنى نسب الالتحاق بالمراحل الأعلى من التعليم النظامى مقارنة بالدول المتقدمة ، وتناقص الإنفاق على التعليم خاصة منذ عام ١٩٨٥ .

- **نوع التعليم** : إن أخطر مشكلات التعليم فى البلدان العربية تتمثل فى تردى نوعيته ، وذلك ما يفوض واحداً من الأهداف الأساسية للتنمية الإنسانية ، وهو تحسين نوعية الحياة للبشر وإثراء القدرة للمجتمعات ، ويطرح ذلك

تحديات خطيرة فى وجه المكونات الرئيسية للنظام التربوى التى تؤثر فى نوعية التربية ، وتضم هذه المكونات السياسات التعليمية والمدرسين وشروط عمل المربين والمناهج الدراسية ومنهجيات التعليم .

- **وسائل الإعلام** : تعتبر وسائل الإعلام من أهم آليات نشر المعرفة ، ولكن مازال الإعلام العربى ووسائط النفاذ إليه وبنيته التحتية ومضمونه يعانى الكثير بشكل عام ، مما يجعله دون مستوى تحدى بناء مجتمع المعرفة ، إذ ينخفض عدد الصحف فى البلدان العربية إلى أقل من ٥٣ لكل ١٠٠ شخص ، مقارنة مع ٢٨٥ صحيفة لكل ١٠٠٠ شخص فى الدول المتقدمة .

- **حرية الصحافة** : الصحافة فى أغلب البلدان العربية محكومة ببيئة تتسم بالتقييد الشديد لحرية الصحافة والتعبير عن الرأى . وتكشف الممارسات الفعلية فى العديد من الدول العربية عن انتهاكات مستمرة لهذه الحرية سواء بإغلاق بعض الصحف أو ضبطها ومصادرتها أو تعطيلها ، ويتعرض الصحفيون فى كثير من الدول العربية للحبس ، وتغليظ العقوبات فى قضايا الرأى والنشر ، والإيقاف عن ممارسة المهنة ، ومازال نمط ملكية الدولة هو السائد ، خاصة فيما يتعلق بملكية الإذاعة والتليفزيون.

- **روح إعلامية جديدة** : شهد العامين الأخيرين حركة ملموسة فى الحياة الإعلامية العربية ، فرغم استمرار هيمنة الإعلام الرسمي ذى الرأى الواحد على الساحة الإعلامية ، انعكاساً لهيمنة الرأي السياسى الواحد ، دخلت وسائل الإعلام العربية مرحلة جديدة تتميز بعنصر المنافسة لصحف ووسائل إعلام تمتعت لحقب طويلة باحتكار القارئ والمشاهد العربى ، وأصبحت قنوات عربية خاصة قادرة على منافسة أعتى المؤسسات التليفزيونية العالمية فى السبق على الخبر والصورة ، وعلى بث روح جديدة فى الشاشات العربية ، ساهمت فى جعل قنوات فضائية عربية كثير منها حكومى رسمى تنحو نحو خلع رداء الرتابة وكسر قيود الرأى الواحد ، ومن أهم مزايا هذه الحركة الإعلامية أنها تعتمد اللغة العربية وتخاطب بالتالى الشريحة الأوسع من المواطنين العرب .

- **وسائط الاتصال** : بالنسبة لوسائط الاتصال الأحدث فقد قطعت بعض الدول العربية شوطاً لا بأس به فى توطير بنيتها التحتية فى هذا المجال . ولكن تظل السمة العامة محصورة فى المؤشرات الأدنى على المستوى العالمى ، فلا يصل عدد خطوط الهاتف فى الدول العربية إلى خمس نظيره فى الدول المتقدمة ، ووجود ١٨ حاسوباً لكل ١٠٠٠ شخص مقارنة مع المتوسط العالمى وهو ٧٨,٣ حاسوباً لكل ١٠٠٠ شخص ، واقتصار عدد مستخدمى الإنترنت على ١,٦ ٪ فقط من عدد السكان.

- **الترجمة** : لا تزال حركة الترجمة فى البلدان العربية تتسم بالركود والفوضى ، فكان متوسط الكتب المترجمة لكل مليون من السكان فى الوطن العربى فى السنوات الخمس الأولى من

الثمانينات ٤,٤ كتاب لكل مليون من السكان بينما بلغ ٥١٩ كتاباً فى المجر و ٩٢٠ كتاباً فى أسبانيا لكل مليون من السكان .

- **البحث العلمى** : يشكو البحث العلمى فى البلدان العربية من ضعف فى مجالات البحث الأساسى ، وشبه غياب فى الحقول المتقدمة مثل تقانة المعلومات والببولوچيا الجزئية ، ويعانى البحث العلمى فى البلدان العربية من إنخفاض فى الإنفاق عليه الذى لا يتجاوز فى الوقت الراهن ٢ ٪ من إجمالى الدخل المحلى ويُدفع أغلبه كرواتب ، كما يعانى من الدعم المؤسسى له ، وعدم توافر البيئة المواتية لتنمية العلم وتشجيعه ، إضافة إلى انخفاض عدد المؤهلين للعمل فيه ، فلا يزيد عدد العلماء والمهندسين والعاملين بالبحث والتطوير فى البلدان العربية على ٣٧١ لكل مليون من السكان وهو أقل بكثير من المعدل العالمى البالغ ٩٧٩ لكل مليون من السكان .

- **الإنتاج العلمى** : يخضع الإنتاج العلمى فى الإنسانيات والعلوم الاجتماعية إلى قيود كثيرة، حيث تتدخل السياسة والقوانين المتصلة بها بشكل مباشر أو بقنوات غير مرئية فى رسم الخطوط الحمراء للبحث العلمى فى هذا المجال، ويبقى وصول ناتج الإبداع للناس من خلال الكتب ووسائل الإعلام مكبلاً فى غياب الحريات .

- **إنتاج الكتب** : يعانى الإنتاج الأدبى بخاصة من تحديات رئيسية أهمها قلة عدد القراء بسبب ارتفاع معدلات الأمية فى بعض البلدان العربية وضعف القوى الشرائية للقارئ العربى ، وينعكس هذا جلياً فى أعداد الكتب المنتجة فى العالم العربى ، حيث لم يتجاوز هذا العدد ١,١ ٪ من الإنتاج العالمى ، رغم أن العرب يشكلون نحو ٥ ٪ من سكان العالم ، كما أن إنتاج الكتب الأدبية والفنية يعد أضعف من المستوى العام ، فعدد الكتب الأدبية والفنية الصادرة فى البلدان العربية لم يتجاوز ١٩٤٥ كتاباً فى عام ١٩٩٦ مما يمثل ٠,٨ ٪ فقط من الإنتاج العالمى ، وهو أقل مما أنتجته دولة مثل تركيا التى لا يتعدى سكانها ربع سكان البلدان العربية . وبشكل عام يتسم إنتاج الكتب فى البلدان العربية بغزارة فى المجال الدين ومسح نسبى فى المجالات الأخرى ، وتمثل الكتب الدينية نحو ١٧ ٪ من عدد الكتب الصادرة فى البلدان العربية ، بينما لا تتجاوز هذه النسبة أكثر من ٥ ٪ من الكتب الصادرة فى مناطق العالم الأخرى .

- **بنية معرفية** : يدل تحليل حال إنتاج المعرفة فى البلدان العربية على وجود رأس مال بشرى عربى مهم، يبدع الآن إفلاتاً من بيئة مجتمعية وسياسية مقيّدة ؛ ويمكنه فى ظروف مواتية أن يكوّن بنية أساسية قوية لقيام نهضة معرفية .

- **نقل التقانة وتوظيفها** : أن تجربة البلدان العربية فى نقل وتوطين التقانة / المعرفة لم تحقق النهضة التقانية المرجوة ، كما أنها لم تحقق عائداً استثمارياً مجزياً ، فاستيراد التقانة لم يؤد إلى توطينها أو توليدها ، ورغم أن البلدان

العربية استثمرت أكثر من ٢٥٠٠ بليون دولار بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٩٧ فى بناء المصانع والبنية التحتية بشكل أساسى ، فإن معدّل الناتج المحلى الإجمالى للفرد قد انخفض بالفعل خلال تلك الفترة ، فهذه الاستثمارات لم تؤدى إلى انتقال حقيقى للتقانة ، لأن ما تم نقله هو وسائل الإنتاج لا التقانة ذاتها .

- **التسربل بالإسلام** : أفضى تحالف بعض أنظمة الحكم القهرية مع فئة من علماء الدين الإسلامى المحافظين إلى تأويلات للإسلام خادمة للحكم ولكن مناوئة للتنمية الإنسانية ، خاصة فيما يتصل بحرية الفكر والاجتهاد ومساءلة الناس للحكم ومشاركة النساء فى الحياة العامة ، كما أن التضييق على العمل السياسى فى كثرة من البلدان العربية قد دفع بتيارات ذات صبغة إسلامية تحت الأرض ، وألجأ بعض التيارات السياسية إلى التسربل بالإسلام ، وفى غياب مسارات سياسية سلمية اندفعت بعض الجماعات السياسية المتشحة بالدين إلى اعتماد العنف وسيلة للفعل السياسى . وفى هذا السياق تعرض الدين الإسلامى (خصوصاً بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١) إلى موجة قاسية من التعريض والتحريض والتشهير والنقد تنم عن جهل عميق فى كثير من الأحيان وافتراء صريح فى أحيان أخرى .

- **أزمة اللغة العربية** : تنطوى علاقة اللغة العربية بنقل المعرفة واستيعابها على قضايا عدة تتقدمها قضيتان محوريتان شديدتا الترابط هما: تعريب التعليم الجامعى وتعليم اللغة العربية . إن قضية تعريب التعليم الجامعى باتت شرطاً أساسياً لتنمية أدوات التفكير وتنمية القدرات الذهنية والملكات الإبداعية ، فضلاً عن استيعاب المعرفة المتسارعة المتجددة . ومن هنا فإن عدم تعريب العلوم يمثل عقبة فى طريق إقامة جسور التواصل بين التخصصات العلمية المختلفة . ذلك أن اللغة هى رابطة العقد فى منظومة المعرفة الإنسانية ، أما تعليم اللغة العربية فيشكو هو أيضاً من أزمة حادة فى محتوى المادة التعليمية وفى مناهج التدريس على حد سواء ، ولعل من أبرز أعراض هذه الأزمة إهمال الجانب الوظيفى فى استخدام اللغة وعدم تنمية المهارات اللغوية فى الحياة العلمية.

- **استنضاب المواد الخام** : من السمات الرئيسية لنمط الإنتاج السائد فى البلدان العربية – ذات الأثر على اكتساب المعرفة – هو الاعتماد الكبير على استنضاب المواد الخام وعلى رأسها النفط ، وهو ما يسمى بنمط اقتصاد الريع .

- **استشراء المنفعة الخاصة** : كان لتوزيع «السلطة» الذى توازى فى أحيان مع توزيع الثروة فى البلدان العربية آثاره فى أخلاق الأفراد والمجتمعات ، وبدا أن استشراء المنفعة وتقديم الخير الخاص على الخير العام والفساد الاجتماعى والأخلاقى وغياب النزاهة والمسئولية وأمراضاً أخرى كثيرة ، إنما ترتبط جميعاً بشكل أو بآخر بهذا التفاوت غير العادل أو غير المتكافئ وكانت العدالة هى الضحية قبل غيرها .

- **الفورة النفطية** : أصابت الفورة النفطية عدداً من القيم والحوافز الاجتماعية التى كان يمكن تؤازر وتسند الإبداع واكتساب ونشر المعرفة ، ولكن القيم السالبة التى انتشرت خلال الفترة الماضية قعدت بالإبداع وأفرغت المعرفة من مضمونها التنموى والإنسانى ، فقد ضعفت القيمة الاجتماعية للعالم والمتعلم والمثقف ، وكانت القيمة الاجتماعية العليا تنحصر فى الثراء والمال – بغض النظر عن الوسائل المؤدية إليهما .
- **المعوقات السياسية** : تبدو المعوقات السياسية لاكتساب المعرفة أشد وطأة من معوقات البنية الاجتماعية والاقتصادية التى خلص التحليل إلى أنها كانت بدورها أبلغ تعويقاً من أى سمات ثقافية .

استشهد موجز التقرير بعدد من المصار غير مكتملة البيانات الببليوجرافية – بخلاف قائمة المراجع فى نهاية التقرير – منها ما يلي :

* سيرجيو فييرا دى ميللو مفوض الأمم المتحدة لحقوق الإنسان . كان للحرب على الإرهاب أثار ضارة .
* محمد حسنين هيكل . جرس يدق .
* لجنة المحامين (الأمريكيين) لحقوق الإنسان . علم من الخسارة : إعادة فحص الحريات المدنية منذ ١١ سبتمبر .
* تقرير مراقبة حقوق الإنسان ٢٠٠٢ : جنين عمليات جيش الدفاع الإسرائيلى .
* إدوارد سعيد . الزمن الراهن هو ساحة المعركة والمعرفة هى سلاحنا .
* عبد العزيز المقالح . دور الأمية فى إعاقة المعرفة.
* فتحى خليل إليس نائب رئيس اتحاد الناشرين العرب . القيود المفروضة على المؤلفين .
* على مصطفى مشرفة . أهمية تاريخ العلم لنهضة معرفية .
* أحمد كمال أبو المجد . نحو لغة إيمانية جديدة.
* ميلاد حنا ، تناغم الأديان فى الوطن العربى والمعرفة .
* فارتان جريجوريان . دور العرب فى الترجمة والمعرفة .
* أنطوان زحلان . هجرة العلماء .
* لجنة حقوق الملكية الفكرية . حقوق الملكية الفكرية فى البلدان النامية .
* مصطفى البرغوثى . الطريق إلى المستقبل .
* الكندى . استحسان الحق بصرف النظر عن المصدر .
* ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦) . المقدمة – الفصل السادس من الكتاب الأول .
* الكواكبى (١٨٥٤-١٩٠٢) . عبد الرحمن الكواكبى ١٩٨٤ .
* صحيح البخارى . العلم فى القرآن والسنة .
* العهد القديم . العلم والمعرفة فى الكتاب المقدس.
* الحسن و. هيل . الثقافة فى الحضارة العربية .
* جيرمى كامبل . قالوا عن اللغة العربية .
* التقرير القطرى . شمال أفريقيا العربية : إشكالية ثنائية اللغة .

* أمين معلوف . باسم الهوية : العنف والحاجة إلى الإنتماء .

وأخيراً ينتهى التقرير إلى اقتراح رؤية استراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة فى البلدان العربية تنتظم حول أركان خمسة هى :

* إطلاق حريات الرأى والتعبير والتنظيم ، وضمانها بالحكم الصالح .
* النشر الكامل للتعليم راقى النوعية مع إيلاء عناية خاصة لطرفى المتصل التعليمى ، وللتعليم المستمر مدى الحياة .
* توطين العلم وبناء قدرة ذاتية فى البحث والتطوير الثقافى فى جميع النشاطات المجتمعة .
* التحول الحثيث نحو نمط إنتاج المعرفة فى البنية الاجتماعية والاقتصادية العربية .
* تأسيس نموذج معرفى عربى أصيل منفتح ومستنير يقوم على العودة إلى صحيح الدين وتخليصه من التوظيف المغرض ، وحفز الاجتهاد وتكريمه وإثراء التنوع الثقافى داخل الأمة ودعمه والاحتفاء به والانفتاح على الثقافات الإنسانية الأخرى .

آراء نخبة من العلماء والمفكرين بصحيفة الأهرام

تتضمن هذه الفقرة آراء نخبة من العلماء والمفكرين التى نشرت بصحيفة الأهرام ، وقد تم ترتيب هذه المواد وفقاً لتواريخ نشرها .

- حازم الببلاوى . الله أعلم هل نخفى عيوبنا (٢٦ أكتوبر ٢٠٠٣) .

تتضمن مقال الكاتب حواراً يدخل فيه كل من تقرير مؤسسة الشفافية الدولية (٧ أكتوبر ٢٠٠٣) وتقرير التنمية الإنسانية العربية المشار إليه. وقد تضمن المقال الفقرة التالية : «وفى عدد من المناقشات حول تقرير التنمية الإنسانية العربية لم يرفض بعض الناقدين صحة ما جاء فى التقرير حول نقص الحريات أو سوء أوضاع النساء أو تخلف المعرفة . ولكن المشكلة عند هذا البعض هى أن اللغة المستخدمة فى التقرير هى بالضبط اللغة التى يعايرنا أعداؤنا بها . وهذا ليس دليلاً على أن هذه الأمور حقائق موضوعية بل هى دليل على أن القائمين عليها أبواق للغرب ينظرون إلى الأمور بمنظار أجنبى ، ويكفى للتدليل على ذلك أن الإدارة الأمريكية استندت فى بعض تصريحاتها إلى هذه البيانات . كذلك فى صدد الدعوة إلى التغيير لمزيد من الديمقراطية فإن عدداً من المعارضين لا يختلفون فى أن الديمقراطية شىء طيب وجميل فى ذاته ، وأن بلدنا فى حاجة إلى المزيد منها بعد أن عانينا من النظم المتسلطة . ولكن مادام أن الدعوة جاءت من أعدائنا ، فلابد أنها مسمومة ويجب رفضها أو على الأقل تأجيلها» .

- أسامة سرايا . حول تقرير التنمية الإنسانية العربى الثانى .. الخطوة الأولى التى ننتظرها (٢٦ أكتوبر ٢٠٠٣) .

افتتح الكاتب مقاله بهذه الفقرة : «إصلاح الداخل ، والنقد الذاتى الحقيقى ، والفعال هو الأهم الآن للجميع ، بدلاً من لطم الخدود ،

أو الشعور باليأس ، والخوف من المستقبل ، ومن هذا المنظور يجب أن نوجه تحية إلى مجموعة العلماء العرب الأفاضل ، الذين أصدروا تقريرهم الثانى للتنمية الإنسانية ، تحت رعاية برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، فقد رصدوا فيه البون الشاسع بيننا ، كعرب ، وبين العالم الخارجى ، وقدموا توصياتهم الدقيقة لبناء مجتمع المعرفة وتأسيس نموذج معرفى عربى أصيل ، ومنفتح فى الوقت نفسه ، وذلك بالعودة إلى صحيح الدين . إن هذا التقرير يطالبنا بالتحرر من التوظيف المغرض للدين ، وتحفيز الاجتهاد وتكريمه ، بالعودة إلى الرؤية الحضارية والأخلاقية لمقاصد الدين الصحيحة ، على أن تستعيد المؤسسات الدينية استقلالها بعيداً عن الحكومات وعن التوظيف السياسى للدين لخدمة أغراض محدودة ، وضيقه ، سرعان ما تضر الجميع ، وتصيب رجال الدين والمجتمع فى مقتل .

- عبد المعطى أحمد . أحوال عربية (٢٧ أكتوبر ٢٠٠٣) .

جاء فى مقدمة مقاله : «التقرير جرىء ، ويناقش واقعنا العربى الراهن ومستقبله بصراحة ودون مواربة . أرقامه خطيرة ، بل ومفزعة ، لكن يكشف الحقيقة بلا تزويق ، فربما تكون حافزاً نحو التغيير إلى الأفضل ، أو نحو إقامة مجتمع المعرفة وهى العبارة التى اتخذها التقرير عنواناً له . التقرير يرى أن إنتاج المعرفة فى البلدان العربية يتسم بالتجزؤ والتبعثر ، ويتعرض للاستغلال السياسى والتهميش ، وأن السلطة فى العالم العربى تضع خطوطاً حمراً تؤدى إلى فساد البحث العلمى والعبث فيه ، أو إلى تدمير المعرفة نفسها . التقرير الذى أشرفت عليه الدكتورة ريما خلف الهنيدى مساعد الأمين العام للأمم المتحدة يوصينا بالعودة إلى صحيح الدين ، وتحريره من التوظيف المغرض وحفز الاجتهاد وتكريمه . والسبيل إلى ذلك كما يقول التقرير العودة إلى الرؤية الإنسانية الحضارية والأخلاقية لمقاصد الدين الصحيحة واستعادة المؤسسات الدينية لاستقلالها عن السلطات السياسية وعن الحكومات والدول ، وعن الحركات الدينية السياسية الراديكالية ، والإقرار بالحرية الفكرية وتفعيل فقه الاجتهاد ، وصون حق الاختلاف فى العقائد والمذاهب . ولعل أبرز ما كشف عنه التقرير هو أن هناك رغبة جامحة فى الهجرة والهرب خصوصاً من جانب أصحاب العقول والكفاءات ، فقد انتقل ١٥ ألف طبيب عربى إلى أوروبا بين عامى ١٩٩٨ و ٢٠٠٠ ، وأصبح حلم الشباب العربى الأول هو الهجرة !» .

- عمرو موسى . تقرير التنمية الإنسانية وثيقة مهمة ولنا ملاحظات على بعض نقاطه (٢٩ أكتوبر ٢٠٠٣) :

أطلق السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية والدكتورة ريما خلف نائب المدير العام لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣ حول المعرفة فى المنطقة وكيفية النهوض بها والنواقص التى تعترض مسيرة المعرفة فى الوطن العربى وأكدت

الدكتورة ديما خلف فى مؤتمر صحفى مشترك مع السيد عمرو موسى أمس أن التقرير تم توزيعه على جميع الدول العربية أمس الأول ويركز على أحد أهم نواقص عملية التنمية فى المنطقة وهى نقص المعرفة الشاملة . وأوضحت أن التقرير لاحظ وجود إيجابيات فى المنطقة العربية خلال هذا العام خاصة فى مجال النهوض بالمرأة العربية وارتفاع نسبة مشاركتها فى الحياة السياسية . وقالت أن ما ورد فى التقرير ليس اتهامات للوضوع العربى الحالى وإنما وصف للواقع ولا يقتصر على ذكر الإنجازات بل يتعداها لذكر الإخفاقات حتى يتم التغلب عليها ومعالجتها . وقال موسى أن هذا التقرير موجود وبالفعل من مؤسسة دولية مهمة ويجب الاطلاع عليه بعناية وأضاف أن هذا التقرير يعالج بعداً مهماً نحن جميعاً مشغولون عنه ، والجامعة العربية بالتعاون مع الأمم المتحدة ستدرس هذا التقرير فهو نقد للذات العربية ونقد الذات قائم ومهم وقد تختلف فى بعض النقاط ويكون لنا ملاحظات على بعض النقاط الأخرى إلا أن التوجه العام هو أن التقرير مهم ويستحق الدراسة معرباً عن أمله فى أن يتم إصداره من خلال الجامعة العربية وليس الأمم المتحدة أو بالتعاون فيما بين المنظمتين . ومن جانبها أوحضت ديما خلف أن التقرير لا يتعاطف مع الولايات المتحدة ولا يتطابق مع مبادرة كولين باول بشأن الإصلاحات فى المنطقة لكنه ينظر لنواقص المنطقة بشكل حيادي ولا يكرس التبعية لأمريكا ولا يمجد الأسلوب الغربى كما نرفض انتهاكات حقوق الإنسان سواء فى الدول العربية أو الولايات المتحدة .

- د. ميلاد حنا . غداً تشرق الشمس من العلم نور .. إلى المعرفة قوة (١) التراث بين البناء المعرفى والتوظيف الأيديولوجى (٤ نوفمبر ٢٠٠٣) :

يقول الدكتور ميلاد حنا فى مقدمة مقاله الأسبوعى بالأهرام «تقرير التنمية الإنسانية العربية تحديداً وبخلاف تقارير التنمية البشرية للعالم كله أو تقارير التنمية البشرية لمصر أو لأي دولة نقول أن التقرير العربى وحده هو الذى آثار عام ٢٠٠٢ ويثير حالياً مناقشات وجدلاً واسعاً ، فالبعض يره التكؤه التى يستغلها بعض دول الغرب ، لكى تثير الزوابع حول النقائص فى المجتمع العربى ، والبعض الآخر يرى فيه النور الكاشف لأخطائنا وعيوبنا، فيكون المدخل للتصحيح الذاتي . وكان الاحتفال برفع الحظر عن النشر لتقرير التنمية الإنسانية العربية عام ٢٠٠٣ ، قد تم الاحتفال به مرتين : الأولى فى مدينة عمان الأردن يوم الاثنين ٢٠ أكتوبر ، والثانية فى مبنى الجامعة العربية ظهر يوم الثلاثاء ٢٨ أكتوبر عام ٢٠٠٣ ، فى مؤتمر صحفى واسع ، وقد سعدت بحضور المناسبتين ، وكان لى شرف أن كنت أحد أفراد الفريق الاستشارى لهذا التقرير، الذى اتخذنا له عنواناً فرعياً هذا العام، وهو نحو إقامة مجتمع المعرفة ، لذا أثرت أن أطرح أجزاء من هذا التقرير ، فى مسلسل له عنوان ثابت ثم عنوان فرعى لكل مثال على

هذا النحو : فى هذا المسلسل من المقالات فى الأهرام ولكى يتاح للقارئ فقرات متعددة من النص الأصلى لتقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣ وبعد أن اشتد الجدل حوله لن أتقيد بتتابع الفصول ، كما فى صلب التقرير الأصلى ، بل سأنتقى منها ما قد يكون فاتحاً لشهية النقاش حتى ينمو ويزداد عدد المتابعين لهذا المسلسل بالرجوع إلى فقرات كعينات من هذا التقرير المهم فالهدف أولاً وأخيراً هو فتح حوار واسع حول هذا التقرير ، وبحيث لا يكون مقصوراً على مستخدمى الإنترنت وحدهم» .

- نرمين عبد الفتاح . د. ريما خلف الهنيدى (مساعد أمين عام الأمم المتحدة) : أملى أن تتركز ردود الفعل العربية حول كيفية تجاوز النقائص وليس التوقف عندها (١٣ نوفمبر ٢٠٠٣) :

«آثار تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول (٢٠٠٢) منذ صدوره من مقر الجامعة العربية بالقاهرة فى منتصف العام الماضى ومازال يثير جدلاً واسعاً بين مؤيد ومتحمس، وبين معارض ورافض لفحوى التقرير الذى أعده نخبة من المثقفين العرب المستقلين ، بتكثيف من برنامج الأمم المتحدة الإنمائى ، وخلصوا فيه إلى أن أهم التحديات التنموية التى تواجه البلدان العربية فى مطلع الألفية الثالثة وتعوق بناء التنمية الإنسانية تتمثل فى ثلاثة نواقص فى البيئة المؤسسية العربية هى : المعرفة ، والحريات، وحقوق المرأة . والآن يأتى تقرير التنمية الإنسانية العربية الثانى (٢٠٠٣) ، والذى صدر أخيراً فى العاصمة الأردنية عمان، ثم أعيد إصداره مرة ثانية من مقر الجامعة العربية بحضور أمين عام الجامعة السيد عمرو موسى ، ومساعد أمين عام الأمم المتحددة الدكتورة ريما خلف الهنيدى مدير المكتب الإقليمى للدول العربية ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائى ، ورئيس الفريق المعد للتقرير الدكتور نادر الفرجانى ، ومن الواضح أن هذا التقرير الثانى سيثير جدلاً وربما أكثر مما سبقه، قياساً على ما طرح من أسئلة مستفزة وانتقادات لاذعة خلال المؤتمر الصحفى الساخن الذى عقد بالجامعة العربية لتقديم التقرير حيث وصل الأمر إلى اتهام معديه بتبنى أيديولوجية الإدارة الأمريكية الحالية إزاء العالم العربى ، بل وإلى حد محاولة إحداث تغيير فى أصول الدين الحنيف !! وتقرير هذا العام يستعرض تفصيلياً قضية المعرفة كإحدى النقائص الثلاثة التى ذكرها تقرير العام الماضى، داعياً إلى بناء مجتمع المعرفة فى البلدان العربية، ويستهل هذا العرض بتقديم أبرز التطورات العالمية والإقليمية التى وقعت منذ إعداد التقرير الأول وحتى الإنتهاء من التقرير الثانى ، والتى كان لها تأثير على مسيرة التنمية الإنسانية فى الوطن العربى ، ثم يقدم التقرير دراسة متأنية للمعرفة التى يرى أنها حجر الزاوية فى التنمية الأساسية باعتبارها أداة للتغلب على الحرمان المادى ولبناء المجتمعات المزدهرة فى القرن الحادى والعشرين ، ويمضى التقرير إلى تقييم حال اكتساب المعرفة نشراً وإنتاجاً فى البلدان العربية مطلع هذا القرن ، ثم

ينتقل إلى تحليل سمات السياق الثقافى والاقتصادى والمجتمعى والسياسى المؤثر فى اكتساب المعرفة فى المنطقة العربية فى هذا المنعطف الحرج من تاريخها . أما الجزء الأخير من التقرير فيقدم رؤية استراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة ، محدداً المعالم الرئيسية لعملية الإصلاح المجتمعى التى يمكن أن تنتهى بإقامة مجتمع المعرفة فى البلدان العربية» .

- د. ميلاد حنا . غداً تشرق الشمس من العلم نور .. إلى المعرفة قوة (٢) اللغة العربية بأوضاعها الحالية لن تقودنا إلى مجتمع المعرفة (١٨ نوفمبر ٢٠٠٣) :

«مقالى اليوم عن أزمة اللغة العربية ترى هل هى قادرة بأوضاعها الحالية ومن خلال المؤسسات الكثيرة المشغولة باللغة المتناثرة فى جميع الدول العربية قادرة على مواكبة عصر الحاسوب (الكمبيوتر) لتنمية وترقية المعرفة ؟ أم أن اللغة العربية تواجه أزمة أعمق وفى حاجة إلى حوار واسع ؟ وكان أن انبهرت بما جاء فى التقرير حول هذه القضية فهناك فقرات جادة وقويه وبها من الجمال والإبداع والوضوح بحيث لم استطع إلا أن أقدمها كاملة للقارئ وسوف نستكملها فى مقال قادم ...

وفى ضوء هذا كله يمكن القول أن أزمة اللغة العربية هى أزمة مركزية لا تقل خطورة وتعقيداً عن الأزمات الأخرى التى تواجهها المجتمعات العربية الواقفة على عتبة نقلة نوعية حادة . ويتعين من أجل الفكاك من الدائرة النكدة لهذه الأزمة ، استغلال الفرص العديدة التى يتيحها مجتمع المعرفة لمواجهة التحدى اللغوى الراهن فى المقام الأول وتفجير الطاقات الكامنة فى اللغة العربية ، علاوة على تدارك المجالات الأخرى ، ولعل من أهم هذه الفرص المتاحة لهذا القصد :

* الثورة العلمية التى تشهدها اللغويات الحديثة ، إذ أفرزت من المناهج العلمية التى يمكن بها تناول الكثير من جوانب إشكالية اللغة العربية التى استعصت على الحل فيما مضى (وقام التقرير بذكرها كلها .
* التطور الثقافى الهائل فى هندسة اللغة حيث يمثل نظام اللغة بتعقيده الشديد موضوعاً مثيراً للتناول الهندسى (د. نبيل على مهندس قبل أن يكون عالم برمجيات ولغويات) .
* الإفادة مما تزخر به شبكة الإنترنت من مواقع عديدة لتعليم وتعلم اللغة الإنجليزية للناطقين وغير الناطقين بها وتطوير مواقع مشابهة لخدمة اللغة العربية تخدم شتى الفئات .
* تعاظم الاهتمام العالمى بالتنوع اللغوى حيث اتجهت منظمة اليونسكو نفسها إلى الاهتمام بمسألة التنوع اللغوى وتعدد اللغات وما يكتنفها من مخاطر الانقراض .

obeikandl.com

* المبادرات المشجعة التى تقوم بها مجموعة من الباحثين فى عدد من الأقطار العربية فى مجال نظرية الأدب وعلم النص الحديث والمعجميات والإنجازات التى أثبتت جدواها فى معالجة اللغة العربية آلياً وخاصة فى علم الصرف والنحو واستخدام الكمبيوتر فى بناء المكانز العربية» .

- د. نادر فرجانى (مدير مركز المشكاة للبحث) . مصر المحور الرئيسى لتقرير التنمية الإنسانية العربية (٢٢ نوفمبر ٢٠٠٣) :

«يفضي القسم الأول من التقرير إلى أن تحدى التنمية الإنسانية فى البلدان العربية الذى وضعه تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول على جدول أعمال الأمة . مكشفاً فى تجاوز النواقص الثلاث فى : المعرفة والحرية وتمكين النساء ، مازال جد خطير ، وربما إزداد خطورة، خاصة فى مضمار الحريات ، بسبب تطورات عالمية وإقليمية ومحلية غير مواتية للتنمية الإنسانية فى الوطن العربى . ويواصل القسم الثانى من التقرير رحلة سلسلة تقرير التنمية الإنسانية العربية ، للمساهمة فى بناء التنمية الإنسانية فى الوطن العربى ، عبر دراسة متأنية لأحد النواقص الثلاث : المعرفة ، تتوخى التوصل لرؤية استراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة فى البلدان العربية» .

- إبراهيم نافع . حقائق (٢٦ نوفمبر ٢٠٠٣) :

«صدر أخيراً تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣ عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائى والصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى ، وقد انشغل تقرير هذا العام بقضية مجتمع المعرفة ، ويعرض التقرير الذى عكفت على وضعه نخبة متميزة من الباحثين والمتخصصين والمفكرين ، رؤية استراتيجية لإقامة هذا المجتمع فى الدول العربية ، ورأي التقرير أن هذا المجتمع لابد أن يكون قائماً على حريات الرأى والتعبير والتنظيم وضمانها بالحكم الصالح ، ويتضمن ذلك بالأساس نشر التعليم وتطويره وتوطين العلم وبناء قدرات البحث العلمى ، والتحول بإتجاه نمط إنتاج المعرفة ، وتأسيس نموذج معرفى عربى أصيل . أي أن قضية بناء مجتمع المعرفة لا تشكل مشروعاً مستقلاً فى ذاته يمكن السير إليه عبر جهود تنحصر فى المجال المعرفى ، بل هو عملية تطورية شاملة لا يصل إليها المجتمع حقيقة إلا فى سياق عملية إصلاح شاملة تضع البلاد على أول طريق النهضة ، ومن ثم فإن مجتمع المعرفة ليس قضية بسيطة ، ويخطئ من يظن أنها قضية القائمين على شئون المعرفة والتعليم ، لأنها فى الأساس عملية تطورية .

وفى تقديرى أن قضية إقامة مجتمع المعرفة تعد قضية محورية فى فكر النخبة السياسية فى أي دولة تريد أن تلحق بركب التطور فى عالم اليوم، فالحديث لم يعد مقصوراً على مجرد اكتساب المعارف الجديدة بقدر ما أصبح يتعلق بقضية النظر إلى البشر باعتبارهم الثروة الحقيقية للأمم ، وبالتالى فالتنمية الإنسانية وفق هذا التصور تعنى بالأساس توسيع

خيارات البشر ، أي توسيع الاختيارات المتاحة أمامهم» .

- إبراهيم نافع . حقائق (٢٩ نوفمبر ٢٠٠٣) :

«نوقشت بالأمس محتويات ورقة لجنة السياسات بالحزب الوطنى التى اهتمت بتحديد سبل الوصول إلى مجتمع المعرفة ، وفى تقديرى أن ورقة الحزب فى هذه القضية قد توافقت مع التوجه العام الذى جاء به لاحقاً تقرير التنمية الإنسانية العربية ، وأحسب أن هذا التوافق قد جاء من العنوان الرئيسى الذى عقد تحته مؤتمر الحزب الفكر الجديد وحقوق المواطن ، فقد جاء فى ورقة الحزب : أن العلاقة بين المعرفة والتنمية الإنسانية وحقوق المواطن متشابكة وبالغة الأهمية ، فهم جميعاً يعززون بعضهم بعضاً ، حيث أن قاسمهم المشترك هو الحرية . أن المعرفة والتنمية الإنسانية توجدان الإمكانية لممارسة الحرية من خلال بناء قدرات المواطنين ، وتتضمن حقوق المواطن التى يدعو إليها الحزب فى كل وثائقه، وحق المواطن فى ممارسة حريته المدعمة بالمعرفة» .

- د. ميلاد حنا . غداً تشرق الشمس من العلم نور .. إلى المعرفة قوة (٣) اللغة العربية تنفذ لمصادر المعرفة ثم تستوعبها (٢ ديسمبر ٢٠٠٣) :

«قول التقرير ص ١٢٣ وتحت عنوان اللغة والنفاذ إلى مصادر المعرفة ما نصه : تمثل ظاهرة الانفجار المعرفى والإفراط المعلوماتى Information Overload ، أى حمل المعلومات الزائد ، مشكلة للفكر العربى وهو وضع يخشى معه أن يشعر هذا الفكر بالانسحاق والتضاؤل أمام إعصار المعلومات المتدفقة على نحو خارق ، وهذا يتطلب استحداث وسائل برمجية جديدة مبتكرة لمعالجة النصوص ولزيادة فاعلية النفاذ إلى المعرفة ، سواء كانت هذه المعرفة مصوغة باللغة العربية أم بلغات أخرى . وفى مقدمة هذه الوسائل : آلية للفهرسة والاستخلاص والتلخيص ، ورسائل ذكية للبحث المتعمق فى متن النصوص من أجل الكشف عن بناها العميقة واستخراج مضامينها الحقيقية . وفيما يخص اللغة العربية يتطلب تطوير مثل هذه الوسائل استخدام الذكاء الاصطناعى فى تحليل النصوص العربية وفهمها آلياً ، وصنع آلة استنتاج مصممة على وجه الخصوص للغة العربية ، وهذا يعنى أنه يتوجب على البحث اللغوى العربى أن يخص بالاهتمام المتعاظم مطالب إنتاج الوثيقة الإلكترونية العربية وإكسابها جدارة السريان عبر شبكة الإنترنت . أما النفاذ إلى مصادر المعرفة غير العربية ، فيرتبط أساساً بقضية الترجمة ، ومن المعروف أن الترجمة إلى العربية مازالت شحيحة للغاية ، وعاجزة عن مواكبة ظاهرة الانفجار المعلوماتى، وهو ما يؤكد ضرورة دفع الجهود فى مجال الترجمة الآلية . وفى هذا الصدد يجب الإقرار بأن هناك عدة مستويات للترجمة تتراوح ما بين الترجمة الخشنة التى تكفى للإلمام السريع بموضوع النص . كما يجرى حالياً على الإنترنت بطريقة متواضعة للغاية ، والترجمة

الدقيقة للنصوص الأدبية ، وسيمضى وقت طويل قبل أن ترقى الترجمة الآلية إلى هذا المستوى .

- د. عبد العزيز حموده . اللغة العربية بين الكينونة (٩ ديسمبر ٢٠٠٣) :

فجأة وبعد مقدمات عديدة فرضها النظام الدولى ما بعد ١١ سبتمبر ، أصبح ملف اللغة العربية مفتوحاً ، ولم يعد الأمر مقصوراً على التلميح بمسئولية اللغة العربية عن التخلف الحضارى الذى يعيشه العالم العربى ، بل تعداه إلى التصريح بقصور تلك اللغة عن مواكبة عصر المعلومات بسبب الأزمة التى نعيشها تنظيراً وتعليماً ونحواً ومعجماً واستخداماً وتوثيقاً وإبداعاً ونقداً . هل يحتاج الأمر هنا إلى تأكيد الواضح وهو أنه حينما تجمع لغة كل تلك السلبيات فإنها تفقد مقومات وجودها ؟ واسمحوا لى بداية أن أسجل أن هذا المنحنى لا يمثل فقط تجنياً على اللغة العربية أو مغالطة تاريخية واضحة ، بل يمثل أيضاً مغالطة علمية تهدف إلى إلقاء تبعة تخلفنا وهو واقع واضح لا مراء فيه على اللغة العربية تمهيداً للأمركة النهائية . واذكّر القارئ هنا بأن كاتب هذه السطور أستاذ للأدب الإنجليزى (الأمريكى) يدعى دون كثير مبالغة إجادة اللغة الإنجليزية .

المغالطة التاريخية تتمثل فى أن نفس هذه اللغة العربية التى نرميها بالعجز والقصور اليوم كانت، فى العصر الذهبى للدولة العربية ، لغة السبق العلمى ، ليس فقط فى علوم الحياة مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية وحقوق الأمم والتاريخ المفصل والخطابة الأدبية ، كما ذكر التقرير نقلاً عن الكواكبى ، بل فى العلوم الطبيعية والتطبيقية مثل الكيمياء والطبيعة والرياضيات والهندسة والطب والفلك. الفارق الوحيد يتمثل فى المتغير وهو الظرف التاريخى الذى وفر للمفكر العربى فى العصر العباسى مثلاً حرية التفكير والابتكار والإبداع والاجتهاد . الازدهار والتخلف إذن يرجعان إلى المتغير وليس إلى الثابت وهو اللغة، كما يريد لنا البعض أن نعتقد على غير الحقيقة ..

أما المغالطة العلمية التى تصل إلى درجة التسطيح غير المقبول فتتمثل فى الحديث عن أزمة العربية باعتبارها سبباً للتخلف وليست نتيجة له . ونحن لا نختلف من ناحية المبدأ مع تقرير التنمية الإنسانية حينما يورد فى استفاضة مظاهر أزمة العربية ويلخصها فى عدم توافر سياسة لغوية على المستوى القومى ، وضمور سلطة المجامع اللغوية وضعف التنسيق بينها وتعثر عملية التعريب ، وجمود التنظير اللغوى والاستنكاف عن العناية بالمذاهب والمناهج الفلسفية الحديثة ، وقصور الوعى بدور اللغة فى تنمية المجتمع الحديث . المشكلة التى نراها هنا أن التقرير يتحدث عن مظاهر أزمة اللغة باعتبار تلك المظاهر علة التخلف وليست أحد مظاهر ذلك التخلف أو نتيجة له .

- إبراهيم نافع . بهدوء مجتمع المعلومات ومفهوم التنمية الشاملة (١٠ ديسمبر ٢٠٠٣) :

«لقد جاءت المرحلة الأولى من القمة العالمية لمجتمع المعلومات ، التى ستبدأ اليوم فى جنيف، لتسير بنا خطوات أكثر فى طريق فهم وتفسير هذه القضية المحورية ، ولتقدم لنا مجموعة مبادئ مهمة للغاية ترتبط بقضية مجتمع المعلومات ، فالقضية ليست كما قد يتصور البعض للوهلة الأولى قضية فنية أو محض معلوماتية ، بقدر ما هى قضية شاملة ترتبط بحدوث تطور شامل فى المجتمع فى جميع القطاعات . ومن ثم ينبغى التعامل معها وفق ما تستحق من اهتمام ، باعتبارها قضية تتعامل مع مفهوم التنمية الشاملة والمستديمة، أكثر من كونها قضية فنية ضيقة .

- د. عبد القادر هام (عميد مركز التدريب – أكاديمية السادات للعلوم الإدارية) . تقرير التنمية البشرية من منظور إدارى (١٣ ديسمبر ٢٠٠٣) :

«إن المشكلة كما هو واضح من واقع البحوث والدراسات الميدانية أن أساليب التطور التنظيمى جزئية وغير فعالة فى تحقيق إنجاز عال ونحن نحتاج أكثر من ذلك إلى نقلة حضارية شاملة Total Corporate Transformation وهى التى تشتمل على توفير المضامين والاحتياجات التالية :

١ – نحتاج إلى قيادات إدارية من نوع جديد أكثر مما نحتاج إلى مديرين .

٢ – نحتاج إلى رؤية واحدة مشتركة (من الرئاسات الأعلى ونزولاً حتى المستويات الدنيا أكثر مما نحتاج إلى خطط تفصيلية.

٣ – نحتاج إلى استراتيجية أساسها التميز فى خدمة المستهلك ويتم التوصل إليها من خلال التحليل الاستراتيجى من خلال مشاركة العاملين بالتفكير الابتكارى والإبداعى أكثر مما نحتاج إلى سياسة وإجراءات تكتيكية .

٤ – نحتاج إلى حضارة إنجاز (قيم وقناعات مشتركة) أكثر مما نحتاج إلى نظم حوافز.

٥ – نحتاج إلى هيكلة تنظيمية Structure جديدة وتفويض أكبر للسلطات فى ضوء ضوابط جديدة .

٦ – نحتاج إلى نظم تشغيل Systems جديدة تتميز بالسرعة والدقة من منظور العميل Oriented-Customer حتى لو تطلب الأمر إعادة هندسة البعض منها .

٧ – نحتاج إلى تنمية الموارد البشرية خاصة ما يتميز منها بالإنسانية والإنجاز السريع الدقيق .

كلمة اخيرة

وأخيراً ؛ لا يزال التقرير لم يلق الاهتمام الكاف – رغم أهميته – من أصحاب العلم والفكر ، ولازلنا نحتاج إلى المزيد من الآراء والتعليقات والتحليلات، لنعرف واقعنا ونتأكد منه – دون استهداف لمصالحنا الحقيقية – حتى يمكن وضع مخططات وبرامج الإصلاح والتنمية على أسس سليمة .